لا يبعد أنه نظم بعض المعارف البيانية، واهتدى إلى بعض الجزئيات، ولا أشك في أن السكاكي استعان بصنيع الزمخشرى هذا واهتدى بنبراسه في كثير من قواعده التي دونها في كتابه (المفتاح) وليضرب لذلك مثلا: عند قوله تعالى: "أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون" يقول: (واعلم أن هذا النوع من الاستئناف يجيء تارة بإعادة
اسم ما استؤنف عنه الحديث كقولك، أحسنت إلى زيد، زيد حقيق بالاحسان وتارة بإعادة صفته كقولك، أحسنت إلى زيد صديقك القديم أهل لذلك منك، فيكون الاستئناف بإعادة أحسن وأبلغ لا نطوائها على بيان الموجب وتلخيصه وفي أسم الاشارة الذي وهو أولئك إيذان بأن ما يرد عقيبه، فالمذكورون قبله أهل لا كتسابه من أجل الخصال التي عددت لهم كما قال حاتم، و صعلوك، ثم عدد له خصالا فاضلة، ثم عقب تعديدها بقوله:

فذلك إن يهلك فحسنى ثناؤه * * * وإن عاش لم يقعد ضعيفا مذمما

و معني الاستعلاء في قوله (على هدى) مثل لتمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه، وتمسكهم به، شبهت حالهم بحال من اعتلى الشي ء وركبه، ونحوه هو على الحق، وعلى الباطل، وقد صرحوا بذلك في قولهم: جعل الغواية مركبا، وامتطي الجهل، واقتعد غارب الهوى، ونكر هدى ليفيد ضربا مبهما، لا يبلغ كنهه، ولا يقادر قدره كأنه قيل، على أي هدى، كما تقول، لو أبصرت فلانا لابصرت رجلا، وقال الهذلي:

فلا، وأبى الطير المربة بالضحي * * * على خالد، لقد وقعت على لحم

و في تكرير أولئك تنبيه على أنهم كما ثبت لهم الاثرة بالهدى، فهي ثابتة لهم بالفلاح، فجعلت كل واحدة من الاثرتين في تمييزهم بها عن غيرهم بالمنابة التي لو انفردت كفت مميزة على حيالها

(فان قلت) لم جاء مع العاطف؟ وما الفرق بينه وبين قوله: أولئك كالانعام بل هم أضل، أولئك هم الغافلون؟ (قلت): قد اختلف الخبران هنا فلذلك دخل العاطف بخلاف الخبرين ثمة فأنهما متفقان لان التسجيل عليهم بالغفلة